93197 ـ يسأل عن العقيدة الطحاوية

السؤال

ما هي العقيدة الطحاوية ؟ وما هو مقصدها ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

العقيدة الطحاوية هي كتاب يحوي العقيدة التي كتبها الإمام الطحاوي فنسبت إليه ، والتعريف بهذه العقيدة يقتضي النظر فيها من عدة جوانب :

أولا :

المؤلف : هو الإمام المحدث الفقيه أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي – نسبة إلى قرية بصعيد مصر ـ ، تخرَّج على كثير من الشيوخ وأخذ عنهم وأفاد منهم ، وقد أربى عددهم على ثلاثمائة شيخ .

أثنى عليه غير واحد من أهل العلم :

قال ابن يونس : كان الطحاوي ثقة ثبتا فقيها عاقلا لم يخلف مثله .

وقال الذهبي : الفقيه المحدث الحافظ أحد الأعلام وكان ثقة ثبتا فقيها عاقلا .

وقال ابن كثير : هو أحد الثقات الأثبات والحفاظ الجهابذة .

وله من التصانيف ما هو في غاية التحقيق والجمع وكثرة الفوائد منها كتابه العظيم "معاني الآثار" فيه من الأبحاث الفقيهة المقرونة بدليلها مع مناقشة الخلاف والترجيح . ومنها كتاب "مشكل الآثار" وغيرها .

توفي رحمه الله سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة (321هـ) ودفن في مصر بالقرافة .

انظر ترجمته في "سير أعلام النبلاء" (15/27–33) ، "البداية والنهاية" (11/174)

ثانيا :

هذه العقيدة التي كتبها الطحاوي ذكر فيها جُمَلا من عقائد السلف الصالحين ومن تبعهم من أهل السنة والجماعة ، والتي يقررها أئمة الأحناف – فقد كان الطحاوي على مذهب أبي حنيفة ـ وقد بين في مقدمته مقصوده من ذلك فقال :

" هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء المِلَّة : أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري ، وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني رضوان الله عليهم أجمعين ، وما يعتقدون من أصول الدين ، ويدينون به رب العالمين " انتهى .

ثم شرع في ذكر أصول هذه العقائد ، فبلغ ما ذكره (105) جملة من الأمور التي يؤمن بها أهل السنة والجماعة عامة .
ابتدأها ببيان وحدانية الله تعالى وذكر شيء من صفات ربوبيته سبحانه كالحياة والقيومية والخلق والرزق ، وإثبات صفات الكمال إثباتا بلا تكييف ولا تشبيه لقوله سبحانه وتعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) الشورى/11 ، ثم أعقبه بذكر وجوب الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعموم بعثته ، ثم التعريف بالقرآن الكريم وأنه كلام الله غير مخلوق ، وإثبات رؤية الله في الآخرة ، ثم ذكر بعض ما يؤمن به أهل السنة من الغيبيات كالحوض والشفاعة والعرش والكرسي ، وبعدها ذكر من أركان الإيمان القضاء والقدر ، وما يعتقد أهل السنة والجماعة في هذا الباب ، ثم انتقل إلى تعريف الإيمان وبيان أركانه وأنه يزيد وينقص ووضح مذهب أهل السنة بين مذاهب الخوارج والمرجئة ، كما قرر ما يؤمن به أهل السنة في الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، وأن حبهم من الدين والإيمان والإحسان ، وبغضهم من الكفر والنفاق والعصيان ، ثم عرج على شيء من أشراط الساعة وما يكون يوم القيامة ، ثم ختم رسالته ببيان وسطية هذا الدين ، وأنه وسط بين الغلو والتقصير .
ثالثا :
وهي عقيدة سهلة العبارة ، واضحة المعنى ، تتسم بالجمع والاختصار ، وقد اجتمع على مجملها أهل السنة والجماعة ، فكانت – في معظمها – محل إجماع واتفاق بين أهل العلم .
وقد اهتم كثير من العلماء بشرح هذه العقيدة وتفسير كلماتها ومعانيها ، ومن أشهرهم ابن أبي العز الحنفي ، حيث كتب شرحا مطولا عليها ، ثم من المتأخرين الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمهما الله ، فيمكن لمن أراد التوسع في فهم معاني الطحاوية الرجوع إلى هذه الشروح .
رابعا :
عقيدة الطحاوي اقتصرت على جمل المسائل ، وإنما الذي كتب لها الذيوع والشهرة في أوساط السلفيين خاصة ، هو شرحها الذي كتبه العلامة ابن أبي العز الحنفي رحمه الله ، وهو أهم شروحها وأوسعها مادة ، وقد استقى مادة هذا الشرح من كتب أهل السنة ، لاسيما كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وتلميذه ابن القيم رحمه الله .
خامسا :
رغم ما أشرنا إليه من محاسن هذه العقيدة ، وشرحها للعلامة ابن أبي العز ؛ ففيها ـ أيضا ـ عدة مسائل قد انتقدت ، لمخالفتها لما عليه السلف ؛ مثل قوله في تعريف الإيمان : " والإيمان هو الإقرار باللسان ، والتصديق بالجنان " ؛ فإن الاقتصار على ذلك هو مذهب مرجئة الفقهاء الذين يخرجون أعمال الجوارح من حقيقة الإيمان . وهكذا قوله بعدها : " والإيمان واحد ، وأهله في أصله سواء " .
وفيها أيضا بعض العبارات المجملة التي تحتمل معاني باطلة ، بل كثر استعمالها من أهل البدع في مقاصد تخالف ما عليه السلف الصالح ؛ مثل قوله : " وتعالى عن الحدود والغايات ، والأركان والأعضاء والأدوات ، لا تحويه الجهات كسائر المبتدعات " ؛ فمثل هذه العبارات يستعملها المعطلة في نفي ما ثبت لله تعالى في كتابه وسنة رسوله ، من الصفات الحسنى اللائقة بكماله سبحانه ، مثل الوجه واليدين والعينين .. ، فيسمونها الجوارح والأعضاء ، وينزهون الله عنها .
ومثل علوه سبحانه فوق خلقه ، واستوائه على عرشه في سمائه ، فيسمون هذه " جهة ، ومكانا " وينزهون الله تعالى عنها .

ولأجل ذلك كان من المهم لطالب العلم أن يعتني بأخذ هذه العقيدة عمن شرحها من أهل السنة ، كابن أبي العز قديما ، ومن علمائنا المعاصرين من علق عليها تعليقات مختصرة ، كما أشرنا إليه.

ويوجد لها شروح صوتية كثيرة ، وبعضها مفرغ ، مثل شرح الشيخ صالح آل الشيخ ، وشرح الشيخ يوسف الغفيص ، وغيرهما من أهل العلم .

والله أعلم .